سلسلة كتب الإسلام وطن

الكتاب الأول

القـــول الصـــائب

فـــــى

إسـلام أبـى طـالـب

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع

تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

مقدمة

الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير منصبة، خلق الخلائق بقدرته، واستعبد الأرباب بعزته، وساد العظماء بجوده.

أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه، جعل لكل شئ قدراً، ولكل قدر أجلاً، ولكل أجل كتاباً.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الصفى، وأمينه الرضى صلى الله عليه وآله، أعلام الاهتداء، ومنار الضياء.

وبعد :

إن النظرة الملية إلى التيارات السياسية خلال سنين طويلة، عبر قرون زاخرة بالتعصب المذهبى الذى فرض نفسه على الأفكار والآراء على صعيد العالم الإسلامى كله، طولاً وعرضا.. كل ذلك ينبغى أن يكون فى الاعتبار عند النظرة إلى هذا الشعر أو ذاك، وإلى هذه الرواية أو تلك، عن إسلام أو عدم إسلام أبى طالب، الذى شاء له القدر- بلا نزاع من أى من الفريقين- أن

يكون كافل النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ طفلاً، وراعيه يافعاً، وحاميه عند مبعثه، حيث لم يكن له بين الناس حام سواه.

إذا كان مما لا خلاف فيه، أيضاً، أن ما جرى لأهل البيت خلال القرون المتوالية على الأمة الإسلامية من جحود وقطيعة- عقب انتقال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾- كان كفيلاً بأن يحول بين صفحات التاريخ وبين أن تخط فيها كلمة إنصاف يكتبها قلم، أو تنطقها شفتان، تثنى عليهم أو تعترف بفضلهم.

فلقد كانت الحرب- ولا تزال بصورة أو بأخرى- معلنة عليهم فى كل زمان ومكان.. ولقد تعقبوا فى النفس والولد والمال والسمعة، ولاحقتهم الأحقاد باللعن والسب والإساءة.. وحل بهم التنكيل والتقتيل فى كل مكان.

ولم يكن عجباً- والحالة هذه- أن يتناولهم كثير من الكتاب، ورواة الأنباء والأخبار بما يستجيب ويتمشى مع النزعات السياسية والمذهبية المخالفة، بما يثلبهم ويقدح

فيهم، ويحرف الحقيقة فى شأنهم، وأن يكون موقف ذوى الضمير من هؤلاء، وهؤلاء متمثلاً فى إهمال أمرهم، وعدم التعرض لذكرهم بسلب أو إيجاب، خشية من أن ينالهم من الأذى والنكال والعقاب، مما كان يحل بكل من اتخذ الموقف الحق منهم، وفى أحداث تاريخنا المعاصر ما يمدنا بالأمثلة الصارخة، والمتعددة، مما يحدث للمعارضين للحكام.

ومن ثم فإذا تسرب إلينا- من خلال هذا الحصار والإعسار- شئ من سيرتهم المضيئة، أو قبس من أقوالهم ومواقفهم المعبرة عن حقيقة الإسلام، أو شعلة من معالم سلوكهم الرشيد، فلا شك أنه حدث فى غفلة من الطغاة وأعوانهم، وعلامة صحية على أن العقيدة- حين تملك على الإنسان وجدانه وسلوكه- تدعوه لأن يتحدى الأوضاع، ليتغلب عليها بقدر الإمكان.. وهذا هو الذى ظهر، فيما بعد، وأنه كان، حتى أصبح مادة لما نقوله الآن.

لقد وصل إلينا- رغماً عن كل الموانع والعوائق-

شعر يحدثنا عن إسلام أبي طالب، منسوباً إليه، وروايات تاريخية تؤكد ذلك منه، ألا يكون هذا مرجحاً لما روى من هذا أو ذاك، على ما روى في الجانب الآخر النافي لإسلامه.

إن الأمر- حينئذ، والحالة هذه- إن لم يرق إلى رتبة الدليل، فإنه بلا شك، لا ينزل عن مرتبة القرينة القوية التي تصل بانضمام غيرها من القرائن إلى مرتبة الدليل القوي، والبرهان الجلي، دون أن يعني هذا تهوينا من نسبة هذا الشعر إلى أبي طالب، أو صحة تلك الروايات، بما فيها من دلالة صريحة على إسلامه، فقد ورد ذكرهما في كثير من الكتب والمراجع التاريخية المعترف بوثاقتها، وصحة نقلها مثل: تاريخ ابن كثير، وسيرة ابن هشام، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ومستدرك الحاكم وغيرها.

وفي صفحات هذا الكتيب عقدنا مقابلة بين حجج المعارضين والمؤيدين لإسلامه من الكتاب والسنة، ثم عرضنا أدلة إسلامه نثراً ونظماً، ليتبين للقارئ الكريم

حقيقة هذه القضية الهامة. ولعل ما وصل إلينا من أدلة على إسلامه لم يكن متوافراً لمن سبق، نظراً لسهولة نقل وتداول المعلومات فى عصرنا.

والله نسأل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، ويجعلنا ممن له قلب، فإن فاتنا ذلك فممن ألقى السمع وهو شهيد.

بين المؤيدين والمعارضين لإسلام أبى طالب

أولاً : القرآن الكريم

استدل المعارضون لإسلام أبى طالب على كفره بثلاث آيات من سورة الأنعام، والتوبة، والقصص.. وسوف نعرض لرأى المعارضين بعد كل آية، ثم نتبعه برد المؤيدين لإسلامه، بقصد إظهار الحقيقة، ورفع المظلمة عن هذه الشخصية العظيمة مصداقاً لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).

الآية الأولى

((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) الأنعام (٢٥ – ٢٧).

المعارضون :

أخرج ابن كثير من طريق سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت، عمن سمع ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إنها نزلت فى أبى طالب ينهى عن أذى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وينأى أن يدخل فى الإسلام. وقد ذكر ابن كثير رأيان فى هذه الآية:

الأول : أنها نزلت فى أبى طالب.

الثانى : أنها نزلت فى أعمام المصطفى العشرة. (راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية).

المؤيدون:

إن هذه الآية وما قبلها وما بعدها، تعرض لنا عمل بعض المشركين، والدليل على ذلك ما يلى:

١ – قال الإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، والإمام الطبرى فى جامع البيان: لو حملنا هذه الآية على أبى طالب لما حصل استقامة المعنى، والمقصود هم الكفار.

٢ – قال الشيخ الشعراوى فى تفسيره: نزلت فى

الكفار والمشركين.

٣ - قال الإمام أبو العزائم عليه السلام: نزلت فى الكفار واليهود والنصارى، وهذه الآية بصيغة المضارع الذى يفيد الاستمرار فى كل عصر (أسرار القرآن).

٤ - الضمير فى الآية ضمير الجمع وهو: ينهون، وينأون، ولو كان خاصاً بأبى طالب، لكنا نجد الخطاب للمفرد.

٥ - كيف يصح انطباق معنى ﴿ينأون عنه﴾ على أبى طالب، وهو الذى لم ينأ عنه طرفة عين؟! فمتى كان هذا النأى؟! أفى نصرته، والقرب منه، والرعاية له ولدينه، والدفاع عنه، وعن أتباع دينه؟! فكيف تجتمع هذه الأعمال منه، مع نأيه عنه؟!.

٦ - فى سلسلة هذا الحديث سفيان الثورى، وقد كان يكتب عن الكذابين، ويروى عن الضعفاء (راجع كتاب ميزان الاعتدال ص ٣٩٨، وإسعاف المبطأ ص ٢، ودلائل الصدق ج١ ص٣٤).

الآية الثانية

((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)) (التوبة : ١١٣).

المعارضون :

قال ابن كثير والقرطبى: إن هذه الآية نزلت فى أبى طالب بدعوى أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال لعمه أبى طالب وهو يحتضر: (أى عم قل لا إله إلا الله) فامتنع، فقال له النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (لأستغفرن الله لك ما لم أنه عنك) (البخارى ٤/٢٤٧).

المؤيدون :

١ – قال الواحدى فى أسباب النزول عن الحسين بن الفضل: (هذا القول مستبعد فى أبى طالب لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولاً، ووفاة أبى طالب كانت بمكة فى أول الإسلام).

٢ – قال الطبرى فى جامع البيان : نزلت من أجل

أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك.

٣ – أيد القول السابق ابن كثير فى إحدى رواياته، وكذلك أيده الشيخ الشعراوى فى تفسيره.

٤ – قال الإمام أبو العزائم عليه السلام فى أسرار القرآن : ﴿ما كان﴾ هذا نفى بمعنى النهى، فهو أبلغ من النهى المجرد، وهذا التعبير يسمى نفى الشأن، وهو أبلغ من نفى الشئ نفسه، لأنه نفى معلل بالسبب ليقتضى له، والمعنى: ما كان من شأن النبى ولا مما يصح أن يصدر عنه– من حيث هو نبى– ولا من شأن المؤمنين ولا مما يجوز أن يقع منهم– من حيث هم مؤمنون– أن يدعوا الله طالبين منه المغفرة للمشركين ﴿ولو كانوا أولى قربى﴾، لهم حق البر وصلة الرحم، وكانت عاطفة القرابة تقتضى الغيرة عليهم وحب المغفرة، ﴿ولو﴾ هذه تفيد الغاية لمعطوف عليه يحذف حذفاً مطرداً للعلم به، والمراد أنه ليس مما تبيحه النبوة ولا الإيمان، ولا مما يصلح وقوعه من أهلهما، الاستغفار للمشركين فى حال من الأحوال، حتى ولو

كانوا أولى قربى، فإن لم يكونوا كذلك فعدم جوازه أولى. ثم قيد الحكم بقوله تعالى: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾، أى: من بعد ما ظهر لهم بالدليل أنهم من أهل النار الخالدين فيها، بأن ماتوا على شركهم وكفرهم ولو بحسب الظاهر، فاستصحاب حالة الكفر إلى الموت، أو نزول وحى يسجل عليهم ذلك كإخباره تعالى عن أناس من الجاحدين المعاندين من أصحاب النار خالدين فيها، أو أنهم طبع على قلوبهم وختم عليها.

٥ - روى الإمام على من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذى والطيالسى وابن أبى شيبة والنسائى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقى، أن السبب فى نزولها استغفار ناس لآبائهم المشركين.

٦ - كون الآية مدنية، وهذا الجمع الكبير من العلماء على أنها نزلت فى استغفار أناس لآبائهم المشركين، لا ينبغى معه ترجيح أنها نزلت فى أبى طالب

وإن كان مذكوراً فى البخارى ومسلم، إذ قد يرجح حديث غير البخارى ومسلم لأمور تقتضى ذلك.

وقد صرحوا بذلك فى أصول الحديث، فقولهم يقدم حديث البخارى ومسلم أو أحدهما ليس على إطلاقه.

الآية الثالثة

((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (القصص : ٥٦).

المعارضون :

* قال ابن كثير والقرطبى: إنها نزلت فى عم النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أبى طالب. (راجع تفسيريهما للقرآن فى هذه الآية).

* وقال سيد قطب فى الظلال ما نصه بالحرف الواحد: (هذا عم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وكافله وحاميه والزائد عنه لا يكتب الله له الإيمان على شدة حبه لرسول الله وشدة حب رسول الله له، لا يكتب الله له أن يؤمن.

ومعنى هذا أن الله كره أن يقول أبو طالب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن رسول الله أحب هذا القول من عمه، وأصر عليه).

المؤيدون :

١ - النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ يحب الهداية لكل الناس الأقربين والأبعدين، وكلمة (من) من صيغ العموم، وتفسيرها بأبى طالب وحده تصرف فى كلام الله بغير دليل.

٢ - يقول الإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب: (هذه الآية لا دلالة فى ظاهرها على كفر أبى طالب).

٣ - قال الألوسى فى روح المعانى: (مسألة إسلام أبى طالب خلافية، وحكاية إجماع المسلمين أو المفسرين على أن الآية نزلت فيه لا تصح، ثم إنه على القول بعدم إسلامه لا ينبغى سبه والتكلم فيه بفضول الكلام، لأن ذلك لا يبعد أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ يتأذى به، لأن الآية نطقت بحبه إياه، والاحتياط لا يخفى على ذى فهم.

٤ – هل يصح فى حكم العقل والفطرة أن يحب رسول الله شيئاً يكرهه الله ويمقته؟.

إذن، كيف قرن الله طاعة رسوله بطاعته، وبيعته ببيعته، ورضاه برضاه، وأمره بأمره، ونهيه بنهيه فى العديد من الآيات؟!.

وإذا كره الله الإسلام من أبى طالب و لم يكتبه له– على حد تعبير صاحب الظلال– فعلى أى شئ يعاقبه؟ وهل يجوز للقوى أن يأخذ الضعيف بما لم يفعل وهو القائل: ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ (ق: ٢٩)؟!.

ولماذا أحب الله الإسلام من أبى سفيان وكرهه من أبى طالب؟.هل لأن أبا سفيان كان أشد الناس بغضاً لرسول الله، ولذا حشد له الجيوش، وشن عليه الحروب، ولأن أبا طالب أحب رسول الله حباً شديداً، وحضنه وحماه، وذاد عنه– على حد تعبير صاحب الظلال–؟!.

أم لأن أبا سفيان هو والد معاوية، وأبا طالب هو والد الإمام على كرم الله وجهه؟!.

٥ – هذه الآية تشير إلى حقيقة هامة وهى أن النبى

﴿ ﷺ وآله﴾ يحب الهداية لجميع الخلق، ولكن الله لا يوفق إلا من شاء أن يهتدى من العباد، قال تعالى: ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف: ٢٩)، فالمشيئة فى قوله تعالى: ﴿ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ تعود على العبد.

فالنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ يحب الهداية للكل، والله يوفق من طلب الهداية، ولا يوفق من لم يطلبها.

٦ – إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى لك من يشاء.

٧ – قال الإمام أبو العزائم عليه السلام فى تفسيره أسرار القرآن ج١ ص ١٣٨: (الهداية بيان الحقائق للسالك، حتى ينتهج الصراط المستقيم، والهداية أربعة أنواع: هداية البيان وهى هداية الرسل وورثتهم من العلماء لمعاصريهم. قال الله تعالى: ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى: ٥٢)، فأخبرنا سبحانه أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يهدى. ولكن هداية البيان لقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾، فأثبت له الهداية أولاً ونفى عنه

الهداية ثانياً، لأن هداية الرسل عليهم الصلاة والسلام لأممهم وهداية ورثتهم العلماء لجماعتهم لبيان سبل الله تعالى، ونفى الهداية عنهم المراد بها هداية الإحسان لأنها خاصة بالله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ ، فالواجب على الرسل وعلى العلماء وورثتهم بيان سبل الله تعالى، والله جل جلاله يهدى من يشاء إحساناً منه. قال تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ (الكهف: ١٧)، فظهر أن النوع الثانى هو هداية الله تعالى عباده إلى صراطه المستقيم، أما النوع الثالث من الهداية، فهو الهداية العامة التى تفضل الله بها على كل الأنواع التى خلقها الله تعالى من حيوان ونبات وإنس وجن، لقوله تعالى: ﴿والذى قدر فهدى﴾ (الأعلى: ٣)، أى هدى كل نوع إلى ما هو ضرورى له، فهدى الحيوانات المولودة فوراً إلى الرضاع من ثدى الأم، وهدى الطيور إلى التقاط غذائها من على وجه الأرض، وهذه هداية إلهامية هداها الله تعالى بعلم ضرورى من بدء نشء خلق الكون قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها *

فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس: ٧، ٨)، والنوع الرابع من الهداية هداية الدخول فى المكان، قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ (الأعراف: ٤٣).

ثانياً : السنة الشريفة

ورد ذكر بعض الأحاديث فى كتب السيرة والسنة مع اختلاف فى ألفاظها، هذا الاختلاف هو محور إسلام وكفر أبى طالب، وسوف نخضعها جميعاً للتحليل والنقد للوصول إلى كبد الحقيقة.

المعارضون :

ذكر ابن هشام فى السيرة ج١ ص ٤١٨ :

(طمع ﴿ ﷺ وآله﴾ فى إسلام أبى طالب قبل وفاته، فجعل يقول له: أى عم قلها- أى: كلمة التوحيد- أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فأجابه أبو طالب: يا ابن أخى، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها فزعاً من الموت، لقلتها، ولا أقولها إلا لأسرك بها.. فلما تقارب

الموت من أبي طالب نظر العباس إليه فوجده يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنيه ثم قال: يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: لم أسمع).

المؤيدون:

في المختصر في أخبار البشر ج٢ ص ١٩:

(توفي أبو طالب في شوال سنة عشر من النبوة، ولما اشتد مرضه قال له ﴿ﷺ وآله﴾: يا عم قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، لولا مخافة السبة، وأن تظن قريش أنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، فلما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس بأذنه وقال: والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: الحمد لله الذي هداك يا عم).

تعليق على المؤيدين والمعارضين :

ورد في الروايتين قول أبي طالب: لولا مخافة السبة. فكيف يكون إسلامه سبة؟.

- كيف يكون إسلام أبى طالب سبة على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو نبى الإسلام والداعى إليه.. إذا سلمنا جدلاً أنه سبة على بنى أبيه؟ بل هل يدعو النبى إلى ما فيه سبة عليه؟- وكيف يتصور أن يكون إسلام أبى طالب سبة، وقد كان على وجعفر وعمهما الحمزة فى ذلك الوقت مسلمين فعلاً علانية؟!!.

- وكيف يتصور إذا كان إسلام أبو طالب سبة على النبى وبنى أبيه أن يحقق العباس هذه السبة فيقول: (يا ابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها)؟.

- وكيف يتصور- إذا كان هذا حدث فعلاً- أن يقول النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (لم أسمع) مع أنه هو الذى أمره أن يقولها، وأخبره عمه بنطقه بها؟.

﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾

- جاء فى طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وصحيح مسلم، حضر النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية المخزومى، فقال له النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (أى عم قل لا إله إلا الله كلمة

أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

وفى هذا الحديث دليل على توحيده لأن عبد المطلب كان موحداً كبقية آبائه وأجداده ﴿ ﷺ وآله﴾، كما حقق ذلك الجلال السيوطى وغيره.

فأبهم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً، وهو يعلم أن عبد المطلب كان على التوحيد، فهو فى هذا الموقف لم يرد أن يصرح بالكلمة، حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وصيانته من أذيتهم له بعد وفاته، فتكون إجابته مداراة لهم، فلما انطلقا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها.

أدلة توحيد عبد المطلب

ذكر البرزنجى والسيوطى وغيرهم ممن ألفوا فى نجاة آباء النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وأمهاته وفى أنهم كلهم على التوحيد، دلائل وبراهين على ذلك، وأفردوا كل أحد

من الآباء بترجمة. وقد صح فى أحاديث كثيرة أنه ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات).

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى: ﴿وتقلُبك فى الساجدين﴾ (الشعراء: ٢١٩). وقوله ﴿ﷺ وآله﴾ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، على أن آباء النبى وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر. وحيث إن أبا طالب قال: هو على ملة عبد المطلب، فلنذكر بعض ما ذكروه فى عبد المطلب لتعلم يقيناً أنه كان على التوحيد.

ذكروا فى عبد المطلب أنه نشأ على أكمل الصفات، وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور.. وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام و لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب فى ذلك؟.

ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسئ بإساءته. (الملل والنحل للشهرستانى ج٣ ص ٢٢٥).

فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهى نور إلهى يقع فى القلب. وكان عبد المطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى، وكان يختلى كثيراً بغار حراء ليتفكر فى صفات الله وأفعاله، وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتى عبد المطلب فتستسقى به فيسقون، ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم. ومما نقل عنه فى ذلك اليوم:

اللهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

المعارضون:

قال الذهبى فى تاريخ الإسلام ج١ ص ١٠٤: عن على ﷺ لما مات أبو طالب أتيت النبى ﷺ وآله فقلت: إن عمك الشيخ الضال قد مات، قال: (اذهب

فوار أباك ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني).

المؤيدون :

١ – قال الذهبي في تاريخ الإسلام ج١ ص١٠٥ : عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عارض جنازة أبي طالب فقال: (وصلتك رحم يا عم وجزيت خيرا).

٢ – وفي بحار الأنوار قال: (والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين) ج٣٥ ص,١٢٥

٣ – وفي السيرة الحلبية أخرج ابن سعد وابن عساكر وأبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن سيدنا على كرم الله وجهه قال: لما مات أبو طالب أخبرت النبي بموته، فبكى وقال: اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه).

تعليق على المعارضين :

١ – هل من كان هذا شأنه يستحق من ابنه المسلم أن يقول عنه حين مماته لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: إن عمك الضال قد مات؟. أفلا كان يكفيه وهو رببب النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، والمنشأ على أخلاق الإسلام وعفة اللسان

أن يقول: إن عمك قد مات، دون أن يصفه بالضلال؟.

وهل هذا من بر الوالدين الذى نزل به القرآن، من مثل قوله تعالى: ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلىّ﴾ (لقمان: ١٥).

٢ - روى الطبرانى والبيهقى أن بنت أبى لهب واسمها سبيعة، وقيل: درة، قدمت المدينة مسلمة مهاجرة، فقيل لها: لا تغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار، فتأذت من ذلك، فذكرته للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال: (ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى، من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى).

٣ - روى الطبرانى والإمام أحمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبة عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال: (لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

وقيل: قال ذلك لما شكى إليه عكرمة بن أبى جهل أن الناس يعيرونه بأبيه.

فإذا كان النبى يتأذى ويغضب مما يؤذى من ثبت

كفرهم، فكيف بعمه أبى طالب، وأدلة إسلامه راجحة على أدلة كفره.

ولا شك أن النطق بقبيح القول فى حق أبى اطلب والتشدق به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد الإمام على الموجودين الآن، بل ويؤذى أمواتهم فى روضاتهم، ويؤذى النبى ﴿ ﷺ وآله﴾.

قال تعالى: ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ (التوبة: ٦١)، وقال: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ (الأحزاب: ٥٧). وهذه الآيات هى ملحظ من قال بكفر مبغض أبى طالب. فقد ذكر أحمد بن الحسين الموصلى الحنفى المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ. أن بغض أبى طالب كفر، ونص على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه، والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبى طالب: لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية

النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفى ذكره بمكروه أذية للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وكفر، والكافر يقتل (أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب، أحمد بن زينى دحلان، ص٩١، ط. الهدف للإعلام والنشر – القاهرة).

ثالثاً : حكمة كفره وإسلامه

المعارضون :

قال ابن كثير فى السيرة النبوية ج١ ص ٢٢٦: (وكان استمرار أبو طالب على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركى قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترأوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه).

المؤيدون :

قال الإمام أبو العزائم عليه السلام فى (النجاة فى سيرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾) ص١٧٣: (والحقيقة أن سيدنا أبا طالب رضي الله عنه وأرضاه هو رجل السياسة الأول فى دعوة الإسلام، فالشواهد التى مرت من كلام الكهان،

وعلامات النبوة جعلته يؤمن بسيدنا رسول الله ﷺ من البداية سراً، وأظهر أمام قريش عدم النطق بكلمة الإسلام حتى يتمكن من فض المنازعات بين الرسول الكريم وبين صناديد الكفر والشرك فى قريش، وكان له ما أراد والأدلة على ذلك كثيرة).

تعليق على المؤيدين والمعارضين :

إن رابطة الدين هى أقوى الروابط الاجتماعية وأمامها تذوب، بل تزول وتتلاشى، سائر الروابط النسبية والسببية، أياً كانت درجة كل نوع منها، حتى لقد يبلغ من قوة تأثيرها أن تدفع الأخ لأن يحارب- فى سبيلها- أخاه، بل وابنه وأباه، وأنها تمنع التوارث بمجرد اختلافها، وأن الولاء والتناصر يتحققان بين المتفقين فيها، مهما تباعدوا نسبياً، أو تفارقوا اجتماعياً.

ومن ثم لا يمكن أن يقال: إن رابطة القرابة كانت سبب نصره أبى طالب لرسول الله وحمايته له من أعدائه، تلك الحماية التى لولاها لما أمكن للدعوة الإسلامية أن تأخذ مسارها نحو الشيوع والانتشار.

كان أبو لهب أيضاً- وبنفس المقدار- جديراً بنفس النصرة والحماية، فكلاهما عم لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولكن أبا لهب على العكس من أبي طالب كان حرباً عوانًا على سيدنا محمد- ﴿ﷺ وآله﴾ وآله- ودينه وأتباعه، بكل أصناف الحرب وأنواع الإيذاء.

وإذن فالعقيدة هى الأولى أن تكون عامل التفرقة بين الرجلين فأبو لهب ملكت عليه عقيدته كل آفاق تفكيره فلم ير شيئاً غيرها جديراً بالنظر والاعتبار، فكانت وقفته المتحدية لله ولدين الله ولرسول الله، لا يرعى فى ذلك رحماً أو قرابة، حتى عرض ابن أخيه للهلاك وإهدار الدم، بينما أبو طالب إذ أخذت عليه عقيدة الإسلام كل آفاق تفكيره- بعد أن اقتنع بها، انطلاقاً من تجربته لصدق سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ وآله على طول عمره قبل البعثة- فرآها جديرة بالاعتبار بل والانتصار، ومن ثم اندفع يؤيدها بكل مرتخص وغال، معرضاً نفسه للمتاعب والأهوال.

المؤيدون يعرضون أدلة إسلامه ﷺ

١ - ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية ج١ ص ٢٨٤ أن أبا طالب عثر على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وسيدنا على كرم الله وجهه وهما يصليان، فقال لعلى: أى بنى، ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته. فقال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

فهو لم ينه ابنه عن الإيمان بدين الإسلام، بل أقره مع ما يعلم بما يعرضه ذلك للمتاعب والأهوال.

٢ - ذكر الذهبى فى تاريخ الإسلام ج١ ص١٠٤، وابن سعد فى الطبقات، وابن عساكر فى تاريخ دمشق، والسيوطى فى الخصائص ج١ ص٨٧: عن العباس أنه سأل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال: ما ترجو لأبى طالب؟

فقال: (كل خير من ربى).

فهل يرجو رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ الخير كل الخير لأحد، وجهت إليه دعوة الإسلام ولم يستجب إليها؟.

٣ – ذكر المحب الطبرى فى الرياض النضرة، والشبراوى فى الاتحاف بحب الأشراف، وابن حجر فى الإصابة، والسيوطى فى مناهل الصفا ص٤٣: عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه سأل رجلٌ فقال: يا بن عم رسول الله أخبرنى عن أبى طالب هل كان مسلما؟.

قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

قد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

إن أبا طالب كان مثله مثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فأتاهم الله أجرهم مرتين.

٤ – جاء فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: أن سيدنا أبا بكر الصديق قال: إن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٥ – جاء فى كتاب بحار الأنوار نقلاً عن المناقب عن تفسير وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن أبيه عن أبى ذر الغفارى قال: والله الذى لا إله إلا هو ما مات أبو طالب حتى أسلم بلسان الحبشة، قال لرسول

الله: أتفقه لسان الحبشة؟ قال: يا عم إن الله علمنى جميع الكلام. قال: (يا محمد أسدن لمصاقا قاطا لاها) يعنى أشهد مخلصاً لا إله إلا الله، فبكى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وقال: (إن الله أقر عينى بأبى طالب).

٦ – لما رأى النبى- ﴿ﷺ وآله﴾ وآله- وعلياً عليه السلام يصلى خلفه عن يمينه- وكان معه ولده جعفر- قال لجعفر: صل جناح ابن عمك، فصلى عن يساره. مما يدل دلالة واضحة على إسلامه فعلاً، وعلى معرفته بأحكام الصلاة، وإلا لما أقر ابنه علياً على إسلامه وصلاته، ولما أمر ابنه الثانى جعفراً بأن ينضم إلى أخيه فى الصلاة، وهى عمود الإسلام، فالولد هو أعز ما يحرص الإنسان على تنشئته وفق إرادته معتقداته، بل وعاداته، وبخاصة فى ذلك العصر الزمان، وكذلك البيئة القبلية من المكان، بل كان هذا هو ديدن ناس ذلك الأوان، كما سجله كذلك القرآن- حكاية عنهم- بقول الله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (الزخرف:٢٣).

ويزيد هذا تأكيداً أن أبا طالب أنشد، حينئذ شعراً سجل فيه سعادته بذلك، يقول:

إن عليا وجعفراً ثقتي عند مُلِمِّ الزمان والنُّوَبِ

لا تخذلا، وانصرا ابن عمكما أخى لأمى، من بينهم، وأبى والله لا أخذل النبى، ولا يخذله من بنى ذو حسب.

فهو لا يكتفى بأمرهما بالصلاة خلف النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وآله فحسب، وإنما هو يمدحهما ويثنى عليهما فى ذلك، ويأمرهما بنصرته وعدم خذلانه، ويقسم على ألا يصدر منه، ولا من أحد بنيه، خذلان له أبدا.

٧ - أن زوجته فاطمة بنت أسد، (أم على وجعفر)، كانت ثانى امرأة حرة تدخل فى الإسلام، بعد خديجة الكبرى، زوجة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، مع ما هو معلوم من تأثير كل أم على بنيها- ذكوراً وإناثاً- ومع ما هو معلوم، أيضاً، من أن تقاليد الزمن كانت تقضى بألا يقر الزوج زوجته إذا خرجت من عقيدته إلى عقيدة أخرى. ومن ثم فكيف يتصور- أن يقرها أبو طالب-

وهو من هو فى قومه- على إسلامها بينما يكون هو باقياً ومصراً على أن يكون على غير الإسلام؟.

٨ - لما علم أن قريشاً عملت على الدس لدى نجاشى الحبشة ضد مهاجرى المسلمين إليها كتب إليه كتابين من الشعر، نبهه فى أحدهما إلى هذا الدس، وأغراه بأن يكون على الأمل فى شهامته وبسط جواره على كل من يلجأ إلى حماه، وذلك إذ يقول فيه، كما فى سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٧١ عن ابن إسحق، وابن كثير فى السيرة ج١ ص٢٦١:

تعلمْ أبيتَ اللعنَ أنكَ ماجدٌ	كريمٌ فلا يشقى لديكَ المجانبُ
تعلمْ بأنَ اللهَ زادكَ بسطةً	وأسبابَ خير كلّها بك لازبُ
وأنكَ فيضٌ ذو سجالٍ غزيرةٍ	ينال الأعادى نفعَها والأقارِبُ

المجانب: الداخل فى حمى الإنسان، لازب: لاصق، فيض: جواد، سجال: عطايا.

ويدعوه فى ثانيهما إلى الإسلام فيقول:

تعلم مليكَ الحبشِ أن محمداً	نبيٌ كموسى والمسيحُ ابن مريمْ
أتى بالهدى مثلَ الذى أتيا به	فكلٌ بأمرِ اللهِ يهدى لمعْصَمْ

وأنكم تتلونهَ فى كتابِكم	بصدقِ حديثٍ لا حديثَ المرجمْ
فلا تجعلوا للهِ نِداً وأسلموا	فإنَ طريقَ الحقِ ليسَ بمظلمْ

فهل من يدعو إلى الإسلام يكون غير مسلم؟.

٩ – جاء فى السيرة النبوية لابن هشام ج١، وفى السيرة النبوية لابن كثير ج١: لما بلغه أن أحد المشركين، وضع أقذاراً على ظهر النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وآله، وهو ساجد فى الصلاة، وأنه يسخر من حركاته فيها، ويظاهره فى هذه السخرية بعض الحاضرين، جاء مسرعاً مغضباً إلى حيث يوجد النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ حينئذ، وسأل من فعل به هذا؟ فلما علم أنه الشاعر ابن الزبعرى لطمه لطمة أدمته، وألقى عليه نفس القاذورات، ولوث بها لحييه، ثم توجه إلى النبى ﴿ ﷺ وآله﴾- فى عطف وحنان- فقال له: أرضيت؟ و لم يلبث أن جادت قريحته بشعر يتحدى فيه كل من يقف فى وجه النبى ﴿ ﷺ وآله﴾، ودعوته إلى دينه،يقول فيه:

أنت النبـــيُ محـــمـــدُ قـــدماً أعـــزُ مســـــودُ
أنَّى تُضـــامُ و لمْ أمـــُتْ وأنا الشجـــاعُ العـــربدُ
وبطـــاحُ مكـــةَ لا يُرى فيهـــا نجـــيعٌ أســـــودُ
وبنـــو أبيـــكَ كأنهـــمُ أُسْـــدُ العَرينِ توقـــدوا
نِعْمَ الأرومـــةِ أصـــلُها عمرو الحطـــيمُ الأوحدُ
ولقد عهـــدتك صـــادقا بالقـــــولِ لا تتـــــزيدُ
ما زلتَ تنطقُ بالصـــوا بِ وأنت طفـــلٌ أمـــردُ

١٠ – إن أبا طالب ظل على موقفه مـــن نصـــرة الـــنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وآله وحمايته له ولدعوتـــه طـــول حياتـــه و لم يسلمه– تحت أى ظرف– إلى خصومه أبدا.

١١ – إن أبا طالب صمد لتحدى قريش بالمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية، مقيماً بشعبه فى مكة، ثلاث سنوات متواصلة مع بنى هاشم، عانوا خلالها جميعاً من الشظف والمسغبة والحرمان، مما تعجز الكلمات عن وصف مداه

وتقدير عنائه، دون أن يتطرق إليـــه الـــوهن أو الضـــعف أو التردد، فهل يكون ذلك لمجـــرد القرابـــة دون أن يكـــون للعقيدة مدخل فيه؟.

١٢ - إن أبا طالب لم يتردد فى تصديق النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ حينما أخبره أن الأرضة قد أكلت وثيقة المقاطعة المودعة بالكعبة ولم يبق فيها إلا اسم الله فقط، فخرج إلى قريش متحدياً بذلك. وكان الأمر كما أخبر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ تماماً، فهل يكون ذلك من غير مسلم؟ أو هل يبقى بعد ذلك غير مسلم، لو لم يكن مسلماً من قبل؟.

١٣ - إن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ ظل مقيماً بمكة يدعو إلى الإسلام، آمناً على حياته، طيلة حياة أبى طالب، ولم تضق عليه الأرض بمكة إلا بعد أن فقده بموته، فكان إذن الوحى له بالهجرة، لأن البقاء فى مكة بعد أبى طالب لم يكن يعنى فقط إجهاض الدعوة، وإكراه المؤمنين بها على الارتداد عنها، وإنما كان يعنى أيضاً الإجهاز على الإسلام نهائياً من الأساس لو تعرض النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ للقتل. وهذا هو ما خطط له القرشيون بالفعل، وعلى رأسهم عمه أبو لهب، وكانت ساعة الصفر فى نفس الليلة التى أذن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فيها بالهجرة من مكة إلى المدينة،

فقد ذكر الشيخ يوسف النبهانى فى جواهر البحار ج٢ ص ١١٣: أن سيدنا جبريل هبط على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عند موت أبى طالب وقال: (يا محمد اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر). فهل من كان وزنه بالنسبة للدعوة الإسلامية أن حياته فى مكة حياتها وحياة نبيها، وأن مماته بمكة تعريض لهما إلى الضياع والفناء، يكون على غير دين الإسلام؟.

١٤ – ذكر فى كتاب (أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب) ص١٠٤: أن القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى ذكروا أن الله تعالى أحيا أبا طالب وآمن بالنبى ﴿ﷺ وآله﴾ [ملحق (٢) فتوى أحمد بن عبد الله ميرغنى مفتى الأحناف].

وذلك إذا سلمنا أنه قد مات كافراً.

١٥ – نوه أبو طالب بنبوة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ قبل أن يبعث، لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب بها حين تزوج ﴿ﷺ وآله﴾ وآله بالسيدة خديجة رضى الله عنها وأرضاها فقال فى خطبته تلك: (الحمد لله الذى جعلنا

من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئى معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جسيم). وكان هذا قبل بعثته ﴿ ﷺ وآله﴾ بخمس عشرة سنة، وقد ورد نص هذه الخطبة فى صفة الصفوة لابن الجوزى ج١ ص٧٤. ط. دار المعرفة بيروت، دون ذكر آخر فقرة التى تشير إلى نبوته ﴿ ﷺ وآله﴾، ووردت كاملة فى هامش باب تزويج خديجة، سيرة ابن هشام تحقيق محى الدين عبد الحميد.

انظر كيف تفرس أبو طالب فيه ﴿ ﷺ وآله﴾ كل خير قبل بعثته، فكان الأمر كما قال، وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه.

أدلة الشعر التى تؤكد إسلامه ﷺ

١ – بعد أن رد بحيرى دريـــداً وتمامًـــا ودريســـاً طلـــب من عمه أبى طالب أن يعـــود بـــه ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ إلى مكـــة فقال أبو طالب:

فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلوغم كـــل فـــؤاد
وحتى رأوا أحبار كل مدينـــة سجودا له من عصبة وفـــراد
دريداً وتمامًا وقد كان شاهداً حريباً وهم كلهم ضد
فقال لهم قولاً بحيرى وأيقنوا له بعد تكذيب وطول بعد
كما قال للرهط الذين تهودوا وجاهدهم فى الله كل جهاد
فقال و لم يترك له النصح رده فإن له أرصاد كـــل مصـــاد
فإنى أخاف الحاسدين وإنـــه لفى الكتب مكتوب بكل مداد

(السيوطى فى الخصائص الكبرى ج١ ص٨٥).

٢ – بعد أن جاء سادة قـــريش إلى أبى طالـــب يطلبـــون منه أن يكف النبى ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ عـــن دعوتـــه، ورفـــض النبى ﴿ ﷺ وآله﴾، قال أبو طـــالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهـــم حتى أوسد فى التراب دفـــينا

فامض لأمرك ما عليك غضاضة أبشر وقر بذاك منك عيـــونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت قدم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنـه من خير أديـان البريـة دينـا
لولا الملامة أو حذاري سـبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيـنا

(ابن كثير السيرة النبويـة ج١ ص ٢٢٨، والـذهبي في تاريخ الإسلام ج١ ص٦٦).

ورد في (أسنى المطالـب في نجـاة أبي طالـب) للسـيد أحمد زيـني دحـلان الشـافعي المكـي ص٤٧ أن البيـت الأخير قال عنه ابن إسحق: إنه زيـادة، وقيـل: موضـوع، وقيل: للتعمية على قريش، لأن عدم إعـلان إسـلامه كـان هو السياسة المتفق عليها لتفـادي الصـدام مـع قـريش في بداية الدعوة.

٣ - قصيدة أبو طالـب لأهـل مكـة بـالحرم، والـتي يخبرهم بأنه لن يسـلم لهـم رسـول الله ﴿ﷺ وآلـه﴾ ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه، فقال في بعـض أبياتهـا.. واللفظ لابن هشام:

كذبتـم وبيـت الله نتركمكة ونظعـن إلا أمركم في بلابـل

ونسلمه حتى نصرع حوله ولما نطاعن دونه ونناضل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ونذهل عن أبنائنا والحلائل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ثمال اليتامى عصمة للأرامل
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد فهم عنده فى رحمة وفواضل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل وإخوته دأب المحب المواصل
حليم رشيد عادل غير طائش إذا قاسه الحكام عند التفاضل
فوالله لولا أن أجئ بسنة يوالى إلاهاً ليس عنه بغافل
لكنا اتبعناه على كل حالة نجر على أشياخنا فى المحافل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب من الدهر جداً غير قول التهازل
حدبت بنفسى دونه وحميته لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأيده رب العباد بنصره وقد عنه بالنصر والكلاكل

وأظهر دينا حقه غير باطل

(ابن هشام ج١ ص٣١٢ - ٣١٧ عن ابن اسحق، وابن كثير فى السيرة النبوية ج١ ص ٢٣٩- ٢٤٣، والذهبى فى تاريخ الإسلام ج١ ص ٧٢).

(بلابل: وساوس الهموم، نبزى: أى نسلبه ونغلب

عليه، الذرا: أعلى ظهر البعير، الكلاكل: عظم الصدر).

فى البيت التاسع بدَّل ابن كثير كلمة (بسنة) التى تعنى التقصير فى نصرته ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى كلمة (بسبة) التى تعنى أنه كفر، وهذه علامة استفهام نضعها حول ابن كثير فى هذا الفعل، خصوصاً وأنه ينقل القصيدة عن ابن هشام، ولعل ذلك يرجع إلى:

أ – دست هذه الكلمة فى تراث ابن كثير.

ب – وصول المعلومة خاطئة إليه.

ج – تعمد تبديل الكلمة.. وهذا احتمال ضعيف.

٤ – بعد أن تحالفوا على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب قال أبو طالب:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبياً كموسى خط فى أول الكتب
وأن عليه فى العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالحب

(ابن هشام ج١ ص٣٩٠ عن ابن اسحق).

٥ – بعد أن اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب لنصرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وصحابته، قام أبو طالب

يمدحهم ويبين لهم فضل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيهم، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها فهاشم أثراها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها

(ابن هشام ج١ ص٣٠٦، وابن كثير فى السيرة النبوية ج١ ص٩٨، ص٢٣٤).

وقول أبو طالب السابق يتفق مع قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (واصطفانى من بنى هاشم).

٦ - بعد أن وجد الأرضة أكلت ما فى الصحيفة وتركت اسم الله قال:

ألم يأتكم أن الصحيفة مزقت وأن كل ما لم يرضه الله يفسد

(ابن عساكر عن الزبير بن بكار، والسيوطى فى الخصائص ج١ ص١٥١، وابن هشام ج١ ص٤١٥، وابن كثير ج١ ص٢٨٢).

وصية أبو طالب

جاء فى كتاب (النجاة فى سيرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾) للإمام أبى العزائم عليه السلام ص١٧٤، ودلائل النبوة للبيهقى، ودلائل أبى نعيم، وأسنى المطالب فى نجاة أبى طالب لأحمد بن زينى دحلان ص٣١ ما يلى:

جمع أبو طالب عند وفاته قريشاً وخاطبهم خطبة، يحثهم فيها على اتباع النبى ﴿ ﷺ وآله﴾، وأوصاهم وكان من وصيته أن قال: (يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم بها إليكم الوسيلة، أوصيكم بتعظيم هذه الكعبة، فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش. صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن فى وصلة الرحم منساة- أى فسحة- فى الأجل، وزيادة فى العدد، واتركوا البغى والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم.

أجيبوا الداعى، واعطوا السائل، فإن فيهما شرف

الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة فى الخاص، ومكرمة فى العام، وإنى أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين فى قريش، وهو الصديق فى العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به.

وقد جاء بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن [أظهر الكفر وأبطن الإيمان]- أى البغض-، وأيم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس وقد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خرابا، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها دونكم.

يا معشر قريش.. كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد).

وفى لفظ آخر لما حضرته الوفاة، دعا بنى عبد

المطلب، فقال: (لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم من أمره، فأطيعوه ترشدوا).

وفى رواية (فاتبعوه وأعينوه ترشدوا) راجع ابن سعد فى الطبقات، والسيوطى فى الخصائص ج١ ص٨٧.

الخاتمة

إن ما رى من شعر منسوب إلى أبى طالب يثبت إسلامه، أو روايات المؤرخين فى هذا الشأن تقيم الدليل القاطع، الذى لا يدفع، على أن أبا طالب إنما توفى على الإسلام، فكيف بها مجتمعة، متضافرة، ومتكاملة، يأخذ بعضها برقاب بعض، نحو غاية واحدة، ونتيجة مؤكدة، وهى أن أبا طالب- حين توفى- إنما توفى على الإسلام، لا أقول الإسلام الذى وقع حينئذ فقط، وإنما الإسلام الذى كان منذ بداية بعثة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ دون جدال.

وفى ضوء ما تقدم جمعه يثور تساؤل ملح يتلخص فى أنه ما هو السر فى هذا اللغط، الذى دار- ولا يزال يدور- حول إسلام أبى طالب، نفياً وإثباتاً؟.

ولا أرى تعليلاً لذلك إلا أن السياسة شاءت ذلك، فكان لها من أعوانها وحاشيتها من الكتاب والمؤرخين والرواة ما شاءت، ذلك أن أبا طالب هو أبو على عليه السلام الإمام، وكتر الأئمة وحق على عليه السلام- والأئمة من بعده- فى ولاية أمر الأمة، سياسياً واجتماعياً، دون

غيرهم، وقد صار أمر الأمة إلى غيرهم، فكانت مصلحة الحاكمين- وخاصة فى العصرين الأموى والعباسى- ملاحقة أئمة أهل البيت بالتنكيل والتحريف والتشويه بشتى الوسائل، طالما كانت قلوب الناس تطوف حولهم وتعطف على مظلوميتهم. ومن ثم لم يدع الحكام فرصة لثلب مزايا الأئمة، ونفى محاسنهم، وشل مفاخرهم، إلا واهتلبوها.

ولقد كان فى مقدمة مفاخر آل البيت موقف أبى طالب من الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ودينه منذ بدأ، رعاية وحماية، ودفاعاً مجيدا، لا يقف عند حد، ولا يتقيد بقيد، بما لولاه لما تمكن أن يأخذ هذا الدين طريقه إلى نور الحياة، فضلاً عن أن ينتشر ثم ينتصر. ومن ثم كان أبو طالب من أهداف هذه الحملة الشنعاء ضد أهل البيت، فكانت الأشعار المنحولة، والروايات الموضوعة المدخولة، لنفى إسلامه، حتى لم يتورعوا عن نسبتها تارة إلى على- كرم الله وجهه- نفسه، وأخرى إلى ابن عباس، وهذه الأمور لم تكن معروفة على عهد الخلفاء الراشدين، وإنما

ظهرت بوضوح فى بداية حكم بنى أمية.

وما رأينا مثل هذا الجدل ثار حول إسلام كثير من المنافقين، وبخاصة من الذين قال الله تعالى فيهم لنبيه: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ (التوبة: ١٠١)، ولكنه ثار حول إسلام أبى طالب، لا لشئ إلا لأنه أبو على عليه السلام الإمام، أبى الإمامين، وجد الأئمة، متمثلاً فى التشكيكات التى حيكت لها الأشعار، والروايات، تنفيراً للناس، وصرفاً لهم عن قضية الأئمة، ونشراً للضباب حولها، حتى لا تكون الحقيقة واضحة جلية أمام الرعية، فيطمئن الحكام إلى استقرار ملكهم، واستمرار حكم أسرتهم.

ولكن الله كان بالمرصاد، فقد أشرقت شمس الحقيقة، فبددت سحائب الضباب المصنوع، حيث شاء الله تعالى أن تذهب- إلى غير رجعة- عصور العصبية المذهبية والعداوة العائلية لأهل البيت، وسادت الحرية الفكرية، فانطلق الحق يأخذ طريقه إلى الوضوح والإسفار عن وجهه الصحيح. ومن ثم فإن الغد القريب أو البعيد سيشهد- بإذن الله تعالى- تصحيح كثير من المفاهيم،

وإنصاف كثير من المظاليم، وإذابة الثلوج بين القائلين بإسلام أبي طالب والقائلين بعدم إسلامه، لا بالنسبة لهذا الموضوع فحسب، ولكن بالنسبة لكثير من المعتقدات المدعاة والمفتراة، ولله عاقبة الأمور.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله الميامين وسلم تسليماً كثيرا.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **002 022 3901030**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
بين المؤيدين والمعارضين لإسلام أبى طالب	٧
أولاً : القرآن الكريم	٧
ثانياً : السنة الشريفة	١٨
ثالثاً : حكمة كفره وإسلامه	٢٧
المؤيدون يعرضون أدلة إسلامه	٣٠
أدلة الشعر التى تؤكد إسلامه	٤٠
وصية أبو طالب	٤٥
الخاتمة	٤٨
الفهرس	٥٢